العرب
الثلاثاء 2021/10/26
السنة 44 العدد 12221

الدراما الليبية بين الأمس واليوم.. من النقيض إلى النقيض

الفنانون يختلفون في توصيف الحالة التي تمر بها الدراما في ليبيا

يشهد المنتج الدرامي الليبي تطوّرا لافتا في السنوات الأخيرة، سواء على المستوى الفني وقيمة الأعمال المقدمة أو على المستوى الثقافي والتاريخي. ولم تكتف الأعمال المنتجة بالجانب الترفيهي فحسب، حيث مثّل الانفتاح على الأعمال المشتركة، خاصة مع تونس أين تم الاشتراك في تقديم مسلسلات مميزة تنافس على المستوى المغاربي والعربي، عاملا مهمّا عرفته الدراما الليبية، لكنّ العاملين فيها يطالبون بالمزيد من الإنجازات.

يمكن للدراما الليبية أن تصل إلى نتفليكس

أشرف العزابي

طرابلس – عندما انتشر الستلايت في ليبيا مطلع التسعينات وجد المشاهدون في القنوات الفضائية ملجأ وبديلا عما كان يُقَدّم في تلفزيون البلاد الوحيد "قناة الجماهيرية".

وكان التجاء الليبيين حينها إلى القنوات العربية شبيها بالهروب مما تقدمه القناة الرسمية من برامج وأعمال لم ترق إلى مستوى التطلعات.

ويقول الممثل عصام الزنتاني عن برامج التلفزيون في تلك الفترة إنها "كانت ركيكة في أغلب ما نقدمه، ولم تكن الدراما استثناءً"، وهو نفس رأي الكثيرين.

أعمال جديدة

يرى الزنتاني أنه "رغم القامات الكبيرة التي أسست قواعد الدراما والفنون عامةً، عانت أعمالنا برمتها من الإفراط في الرقابة، وصلت إلى حد إقصاء أي كلمة غير عربية من التلفزيون. حتى التلفزيون نفسه كنا نسميه الجهاز المرئي. وهذه المبالغات أبعدتنا عن وجدان المشاهد وحقيقة الشارع".

> هناك فنانون يرون أن الدراما الليبية انطلقت للتو فيما يرى آخرون في هذا الحكم تجنّيا على الأجيال السابقة

ويتابع "كل عوامل صناعة الدراما (المالية والتقنية والفنية) كانت سيئة أيضاً، ومع هذا ما كان ينقصنا أكثر هو تحرر النص، ولقد بدأ الحلم يلوح سنة 2008 مع ظهور قناة الليبية".

يؤكد ذلك المخرج والمنتج مؤيد زابطية، ويقول "ذاك العام كنت أقوم بإخراج مسلسل منوّع. وعندما عُرضت أولى الحلقات على سيف الإسلام القذافي، أصدر تعليماته بإيقاف الرقابة عن العمل".

ويصف الممثل عبدالرزاق أبورونية تلك الفترة قائلا "كاد الزمن يتجاوزنا، وكدنا نفقد آخر المشاهدين لو لم نتحرك، وهذا ما شرعت فيه الدراما، بأفكار وجرأة وتقنيات الجيل الجديد، وخبرة القدامى".

بعد انهيار النظام السياسي عام 2011 فُتحت الأبواب على مصراعيها. يقول الزنتاني معلقاً "كنا بحاجة إلى تحرير العمل الفني، ولكن ليس إلى هذا الحد. لقد انتقلنا من النقيض إلى النقيض".

عقب هدوء الأمور عام 2012 ظهرت قنوات وشركات إنتاج خاصة متعطشة إلى الإنتاج الدرامي. وكان موسم رمضان الخيار الأول وبوابة استعادة ثقة المشاهدين، فهل المسألة بهذه السهولة؟

تقول الممثلة أمل نوري "لم يكن من الهيّن إقحام أعمال جادة في رمضان، فالمشاهد الليبي اعتاد بعد الإفطار على وجبات مرحة وخفيفة، وما يُعرض بعد ذلك قد لا ينال نصيباً من المشاهدة".

المنتجون يدركون ذلك، ولم يخل الأمر من المغامرة، خاصة بأعمال ذات إنتاج مُكلف. ومع هذا تسللت المسلسلات الليبية رويداً رويدا، ورغم قلّتها ظهرت أعمال بحُلل جديدة ودماء شابة وتقنيات متطورة نسبياً، والأهم من ذلك نصوص متحررة قد تحاكي الواقع بشكل أفضل. وبعد سنين من الفُرقة التفت المشاهدون أخيراً إلى الدراما المحلية.

قد لا تُصدق التعليقات الإيجابية بداية، ولكن ما إن تُشاهد بعض الأعمال حتى تَقَع في فخها الجميل. ستشاهد مسلسلات تصور التاريخ، وأخرى تؤرخ الواقع. ستتابع أعمالا بسيطة الإنتاج كبيرة المحتوى، وأخرى تزينت بالاثنين، حتى أن بعضها بُث عربياً، وأحدها نجح في خلق رُعب يُحاكي العالمية، ولكن بوحي من التراث الليبي وحكايا الأجداد.

وفي تصريحات له أشاد الكاتب والناقد منصور بوشناف بنصوص العديد من المسلسلات، وتمنى تحويل بعض الأعمال الأدبية الليبية إلى سيناريوهات فنية. وله الحق في ذلك، فالمشاهدة تضمن الانتشار، والمكتبات شبه الخالية من القراء مليئة بالقصص والروايات والملاحم، حتى أن بعضها تحول إلى أعمال درامية أجنبية، كما حدث مع رواية "من مكة إلى هنا" للأديب الراحل الصادق النيهوم، والتي تحولت إلى مسلسل فنلندي بعد نشرها في نهاية الستينات.

اللحاق بالركب

لقد اختلف الفنانون والمهتمون الليبيون في توصيف الحالة التي تمر بها الدراما في ليبيا؛ البعض يقر بأنها انطلقت تواً، وآخرون يرون في هذا الحكم تجنيا على الأجيال السابقة، إلا أن اتفاقاً ساد على ثبات الخطوات "في السنوات الخمس الأخيرة على الأقل".

فهل يعني هذا أن الطريق ممهدة؟

يستبعد المنتج مؤيد زابطية ذلك، ويقول "بعد أن كانت المقارنة مع الأعمال العربية ظهرت نتفليكس Netflix. وهذا يزيد آفاق التحديات، لكنه سيدفع حتماً إلى تقديم الأفضل توالياً".

ويضيف "المشكلة أن ساحتنا الفنية عذراء من ناحية الموارد البشرية، لهذا يجب على صاحب العمل تعليم جزء من الطاقم مهارات وتقنيات الأعمال الحديثة قبل التصوير، وهذا يستهلك الوقت والجهد والمال".

لقد دفع ذلك إلى تطعيم بعض الأعمال بفنانين وفنيين عرب، ورغم أن التعاقد مع الفنيين كان مفيداً إلى حد ما إلا أنه خلق ركاكة في إتقان اللهجة الليبية بالنسبة إلى الممثلين.

يقول أبورونية "هذا صحيح بالنسبة إلى العنصر النسائي، لأنه نادر في الساحة الليبية، فخرّيجات معهد الفنون قليلات، والباقيات هاويات لم تحنكهن التجارب".

يختلف رأي الفنانة لطفية إبراهيم في المسألة، إذ تقول "كان هذا في الماضي، واليوم لدينا وجوه نسائية شابة موهوبة، لكنها لم تجد الفرصة بسبب قلة الأعمال وإغلاق معهد الفنون. والتعاون مع العرب يعود إلى الانفلات الأمني الذي دفع لتصوير بعض الأعمال خارج ليبيا، ومع أن ذلك يسرّع في الإنجاز لكنه يزيد في التكلفة. والدولة غائبة في سُباتها، وغاب معها حتى المسرح الوطني ودور السينما".

إنتاج المسلسلات صار أسهل

غياب الدولة معضلة أخرى اختلفت حولها الرؤى، فقد طالب البعض بتدخلها لدعم الدراما، ومنهم من يريد دعماً غير مباشر كتوفير دورات فنية، في حين يفضل آخرون ابتعادها لضمان حرية النص.

في أروقة وزارة الثقافة لا ينكر وكيل الوزارة خيري الراندي تقصير الدولة، ويرى في حديثه أن "أولى الخطوات يجب أن تتجه لتغيير القوانين، بحيث تحمي مصالح المستثمرين وتشجعهم على صناعة الدراما، ثم تلتفت إلى الفنانين وتساعدهم على تكوين نقابات لديها روح الاستمرار وسياسة الضغط على الدولة".

ويختم قائلاً "بجانب قوس ماركوس أوريليوس التاريخي افتتح أول مسرح في طرابلس عام 1908. كنا سبّاقين آنذاك، وأتمنى اليوم أن نلحق بالركب المتسارع".

الدراما التركية تلوي عنق التاريخ لإسكات جوع غامض للماضي

إرجين هوا

إسطنبول – يحفل المسلسل التركي التاريخي الجديد "بربروس: سيف البحر المتوسط" بالكثير من الإثارة، وقد عرض للمرة الأولى الشهر الماضي، وهو من إنتاج محطة "تي.آر.تي" التلفزيونية التركية التابعة للدولة.

ويحكي المسلسل مغامرات أمير البحر بربروس خيرالدين باشا، والمعروف أيضا باسم هيزير رئيس الذي عاش في القرن السادس عشر، وإخوته الثلاثة أوروتش وإلياس وإسحاق.

وخاض الإخوة الثلاثة معارك ضارية في البحر المتوسط، سواء بمواجهة سفن القراصنة التي ترفع علم الصليب، أو بحراسة سفن فينيسيا التجارية.

ويقدم المسلسل الرؤية التركية للتاريخ من خلال تركيزها على هذه الشخصيات التاريخية وترسيخ أدوارها كأبطال تاريخيين أقوياء، وبعضهم لا يقهر، فيما يعتبره البعض نوعا من المبالغة والتضخيم وقراءة غير محايدة للتاريخ.

وحظيت المسلسلات التركية المعروفة باسم "ديزي" بجمهور متزايد على مستوى العالم، وهي تضفي غالبا طابعا رومانسيا على الإمبراطورية العثمانية أيام ازدهارها، بهدف الوصول إلى جمهور أوسع، وقد بدأت تجذب المعجبين بها على منصة البث المباشر نتفليكس فيما يدعو آخرون إلى ضرورة تدقيق المعلومات التاريخية التي تقدمها هذه الأعمال بشكل أفضل وتخليص أبطالها من هالات التمجيد المفرط أحيانا.

وفي تركيا تحمل المسلسلات التاريخية من حين إلى آخر إشارات تاريخية للظروف السياسية التي تواجهها البلاد حاليا، وبعضها مثل مسلسل "بربروس" يلوي من أجل ذلك الحقائق التاريخية بشكل صريح، وفقا لما يقوله الكثير من المراقبين.

وقدمت مسلسلات سابقة أنتجتها محطة "تي.آر.تي" –مثل "السلطان عبدالحميد الثاني" و"قيامة أرطغرل"– مقارنات بين الوقائع التاريخية وبين أحداث معاصرة مثل محاولة الانقلاب في تركيا عام 2016.

المسلسلات التاريخية أداة في يد الحكومة

وقالت سينيم شفيق، المحاضرة المتخصصة في الدراسات الدولية بجامعة كاليفورنيا إرفن، إنه مع مسلسل "بربروس" تنقل المحطة التلفزيونية التركية محور التركيز "بهدف نشر وجهة نظر الحكومة في ما يتعلق بنهج السياسة الخارجية".

وأضافت شفيق أنه "ليس من قبيل المصادفة أن تتم إذاعة مسلسل 'بربروس' في نفس الوقت الذي أدت فيه الطموحات البحرية التركية إلى إثارة مشكلات".

وأوضحت أن المحطة التلفزيونية "استخدمت عناصر وجود مؤامرة لتبرير إذكاء النعرة القومية الجديدة من جانب الحكومة".

وثارت توترات إقليمية خلال السنوات الأخيرة إثر سعي تركيا لتوسيع نفوذها البحري، مما جعلها تشتبك مع دول مجاورة بسبب مشكلة الحدود البحرية وحقوق التنقيب عن النفط والغاز.

وأشارت شفيق إلى أن المسلسل "يؤكد القوة البحرية التركية، كما لو كانت هذه القوة قدر تركيا المحتوم والمبرر".

وذاعت شهرة هيزير عبر القارة الأوروبية في أواخر القرن السادس عشر، عندما حقق سيطرة العثمانيين على البحر المتوسط عن طريق غزو مناطق من شمال أفريقيا، وشن حملات على الموانئ الإيطالية والإسبانية، ودخل في معارك مع أساطيل جنوة وفينيسيا، وتعاون مع الأسطول الفرنسي.

وتواجه تركيا اليوم تحديات جديدة في نفس المنطقة، حيث لا يزال تأثير هيزير وزملائه من البحارة ماثلا، ويتضح ذلك من خلال إطلاق أسمائهم على بعض القطع البحرية التركية الكبيرة والحديثة.

ومن جانبها قالت محطة "تي.آر.تي" إنها تأمل أن يسهم مسلسل "بربروس" في "رفع الوعي" بتطلعات تركيا البحرية الأخيرة.

غير أن تقديرات مرتبة المسلسل تتراجع وفقا لتقارير وسائل الإعلام المحلية، مما أجبر "تي.آر.تي" على تغيير كتاب السيناريو والمخرج بعد إذاعة خمس حلقات، ومع ذلك لم تؤكد المحطة التلفزيونية هذه التقارير.

ويواجه المسلسل تحديا خطيرا من ناحية ربط العثمانية الجديدة بما يطلق عليه "الوطن الأزرق" الذي يعني توسيع تركيا إلى حدودها البحرية، وهو عقيدة ذات أصل علماني وفقا لما يوضحه جوش كارني الأستاذ في الجامعة الأميركية ببيروت.

ويقول إنه "بالإضافة إلى ذلك ينحرف المسلسل من حين إلى آخر عن الحقيقة التاريخية؛ ويتم ذلك مثلا عندما يبرز الشخصيات الرئيسية التي تطارد مؤامرة ما".

ويعزو كارني هذا الاتجاه إلى الإغراء "باستخدام التاريخ بشكل فعال للغاية" لإسكات "جوع غامض لتعدين الماضي" في تركيا وفي الخارج أيضا.

ويقول كارني إن "المشاهدين في مختلف أنحاء العالم لا يزالون مهتمين بمشاهدة عروض لا تحمل وجهات نظر المستشرقين".

وتوضح بيترا دي بروين، الخبيرة في دراسات الشرق الأوسط بجامعة لايدن في هولندا، أنه "سواء أكانت الدراما التركية ذات دوافع سياسية أم لا، فإن رواجها يتزايد على المستوى العالمي، كما أنها بدأت تغزو الأسواق الغربية".

> المسلسل ينحرف عن الحقيقة التاريخية ويبرز الشخصيات الرئيسية التي تطارد مؤامرة ما بشكل مبالغ فيه

وتقول إن هذا النجاح يرجع جزئيا إلى السرعة التي يتم بها إخراج وإنتاج المسلسلات، إضافة إلى وجود مجموعة قوية من الممثلين والممثلات.

وتشير بروين إلى أن الدراما التركية التي يطلق عليها اسم "ديزي" أصبحت الآن ثاني أكبر نوعية من المسلسلات التي تلقى إقبالا بعد مثيلتها الأميركية، محققة نجاحا يمكن مقارنته بالانتشار العالمي لمسلسلات الميلودراما الشائعة المعروفة باسم "تيلينوفيلا".